



الابعاث الشيعي في العالم، قراءة في كتاب «جيوبولتيك التشيع»

پديدآورده (ها) : دکير، محمد

ميان رشته اي :: المنهاج :: بهار 1381 - شماره 25

از 261 تا 273

آدرس ثابت : <http://www.noormags.ir/view/fa/articlepage/209096>

دانلود شده توسط : رسول جعفريان

تاریخ دانلود : 14/04/1395

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) جهت ارائه مجلات عرضه شده در پایگاه، مجوز لازم را از صاحبان مجلات، دریافت نموده است، بر این اساس همه حقوق مادی برآمده از ورود اطلاعات مقالات، مجلات و تالیفات موجود در پایگاه، متعلق به "مرکز نور" می باشد. بنابر این، هرگونه نشر و عرضه مقالات در قالب نوشتار و تصویر به صورت کاغذی و مانند آن، یا به صورت دیجیتالی که حاصل و بر گرفته از این پایگاه باشد، نیازمند کسب مجوز لازم، از صاحبان مجلات و مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی (نور) می باشد و تخلف از آن موجب پیگرد قانونی است. به منظور کسب اطلاعات بیشتر به صفحه [قوانين و مقررات](#) استفاده از پایگاه مجلات تخصصی نور مراجعه فرمائید.



پایگاه مجلات تخصصی نور



الأنبعاث الشيعي في العالم

قراءة في كتاب «جيوبولitic التشيّع»

«إنَّ يقظة المهمشين، داخل العالم العربي، لها عواقب وخيمة، بالنسبة لاستقرار الأنظمة السياسية القائمة، وبسبب النزعة الفتالية لهذا العالم الشيعي الذي بدأ يستيقظ». *

فرانسوا تيال

* أ. محمد دكير

أسباب الاهتمام الغربي بالتشيّع

مباشرة بعد انتصار الثورة الإسلامية، في إيران، وسيطرة الإسلاميين على مقاليد الحكم، اتجهت أنظار الباحثين والمحتمسين بشؤون السياسة والاستراتيجيا، في الغرب، إلى البحث في جذور هذه الثورة وأسبابها وعوامل القوّة الداعمة لها، خصوصاً، وقد أعلنت عن نفسها بأنّها ثورة ذات أيديولوجية عقدية لها تاريخ طويل من المقاومة والتجارب الثورية، من أجل التغيير والإصلاح داخل الأمة الإسلامية. بالإضافة إلى الموقع الاستراتيجي لإيران، في منطقة شديدة الحساسية، وتعني للغرب الشيء الكثير على المستوى الجيوسياسي. هذه العوامل وغيرها تقف وراء الحجم الكبير، من المقالات والدراسات والكتب والبحوث الأكاديمية التي صدرت في العواصم الغربية، خلال العقود المنصرمين، بحيث استطاعت أن ترصد كل ما يتعلق ليس بإيران فقط، وإنما بالتشيّع بوصفه مذهبًا إسلاميًّا وامتداداته الجغرافية والمذهبية في العالمين: العربي والإسلامي.

* باحث من المغرب

وقد بذلت هذه الجهود بغية التوصل إلى رؤية جيوسياسية علمية تساعد مراكز القرار السياسي في الغرب على فهم هذه الظاهرة (الثورية الشيعية)، والتعاطي معها في إطار خطط استراتيجية مُحكمة، تحتوي تداعياتها السُّلبيَّة المحتملة وتأثيرها على المصالح الغربية في منطقة الشرق الأوسط تحديداً؛ حيث يتواجد الاحتياطات العالمية الضخمة للنفط، وهو عصب الحياة الاقتصادية في الغرب.

ومن ثمَّ فهذه الكتابات تمثل، أولاً، وجهة نظر غربية، لذلك فهي امتداد للدراسات الاستشرافية التي لها، بطبيعة الحال، إيجابياتها إلى جانب السلبيات، بالإضافة إلى كونها دراسات موجَّهة، كما قلنا، لمراكز القرار السياسي والاقتصادي الغربية، وللقارئ العربي عموماً، وبناءً عليها توضع الاستراتيجيات السياسية والاقتصادية الغربية تجاه العالم الإسلامي. من هنا تكتسي أهميتها بالنسبة للمراقب في العالم الإسلامي، فمن، خلالها، يمكن التعرُّف على كيفية التعاطي الغربي السياسي والاقتصادي والثقافي مع أي ظاهرة سياسية أو ثقافية أو دينية، عربية أو إسلامية، يمكنها أن تمثل خطورة آتية أو مستقبلية على مصالح الغرب ونفوذه في العالمين العربي والإسلامي، علاوة على الاطلاع على كمٍ كبير من المعلومات والحقائق غير المتوفرة في العالمين: العربي والإسلامي، ولا يستطيع الباحث العربي، أو المسلم، أن يحصل عليها بسهولة عكس الباحث الغربي؟! وهذا ما ظهر بوضوح في كتاب «جيوبولitic التَّشِيع» للفرنسي فرانسوا تيال المتخصص في الشؤون العالمية والاستراتيجية.

الجغرافية ودلالة الأرقام

من الصعب جدًا استعراض كل ما جاء في هذا الكتاب، من معطيات وحقائق وأرقام ومقاربات جيوسياسية، تتعلق بعالم التَّشِيع دينياً وسياسيًا واجتماعياً؛ لأنَّنا سنكون، آنذاك، أمام ترجمة حرفية للكتاب، وهذا ما لا تتحمَّله هذه القراءة السريعة فيه، الهدافَة إلى الكشف عن ملامح الانبعاث الشيعي في العالم، والوضع الجيوسياسي الذي خلقه هذا الانبعاث، من وجهة نظر غربية/فرنسية، وأهم النصائح التي يقدمها هذا الخبر الاستراتيجي، ليس للحكومات الغربية فقط، وإنما كذلك للأنظمة العربية والإسلامية؛ التي يتواجد الشيعة في بلدانها بحسب مختلفة؟!

● الابتعاث الشيعي في العالم قراءة في كتاب «جيوبيولitic التشييع»

إذا كان عدد المسلمين، الآن، يقدّر بـ 1.5 بليار نسمة، وإذا كان هذا العدد سيصل في غضون الـ 25 سنة المقبلة إلى قرابة المليارين، فإن ضمن هذا المليار، هناك، ما يقرب الـ 140 مليون مسلم شيعي، أي بين 10 و12٪ من المسلمين، يتوزّعون، في العالم الإسلامي، على الشكل الآتي:

الشيعة في الدول الإسلامية

- ١ - إيران: 51 مليوناً الأغلبية إمامية.
- ٢ - باكستان: بين 27 و35 مليوناً. الأغلبية إمامية مع إسماعيلية.
- ٣ - الهند: 25 مليوناً، إمامية وإسماعيلية.
- ٤ - تركياً: 16 مليوناً الأغلبية علوية مع إمامية وبكتاشية. حوالي ربع السكان.
- ٥ - آذربيجان: 5 ملايين، 75٪ إمامية.
- ٦ - أفغانستان: 3 ملايين، إمامية وإسماعيلية، ويمثلون 16٪ من سكان أفغانستان.
- ٧ - طاجيكستان: 160 ألفاً، إمامية وإسماعيلية.

الشيعة في الدول العربية

- ١ - العراق: 12,5 مليوناً، 70٪ من عرب العراق شيعة إمامية.
- ٢ - اليمن: 5 ملايين، الأغلبية زيدية مع إسماعيلية وإمامية.
- ٣ - سوريا: 3,5 ملايين علوية ودروز وإمامية.
- ٤ - لبنان: مليون، الأغلبية إمامية مع دروز.
- ٥ - السعودية: 500 ألف إمامية.
- ٦ - الكويت: 500 ألف إمامية، حوالي ربع السكان.
- ٧ - البحرين: 350 ألفاً 65٪ من السكان إمامية.
- ٨ - الإمارات العربية المتحدة: 300 ألف، 6٪ من السكان إمامية.

٩ - قطر: ٥٠ ألفاً إمامية، ٢٠٪ من السُّكَان.

لم يذكر المؤلِّف مصادر هذه الإحصائيات، وإنما اكتفى بالقول إنها تقريريَّة، لأنَّ عدداً من الدُّول العربية والإسلامية، وأسباب سياسية وطائفية، لا تفصح عن العدد الحقيقي للأقليات الشيعيَّة لديها. ويلاحظ أنه يهمل شيعة دول آسيا الشرقيَّة والجنوبية. فهناك شيعة في الصين وأندونيسيا، وكذلك هناك أقلُّيات شيعيَّة في عدد من الدُّول الإفريقيَّة، مثل مصر والسودان وتanzania ومدغشقر، بالإضافة إلى مجموعات متفرقة لم تصل بعد إلى حد اعتبارها طوائف ذات كيان اجتماعي بارز على الساحة، في كل من تونس والجزائر والمغرب وعدد من دول وسط إفريقيا، ما يجعل وزنها، على المستوى الجيوسياسي، لا فعالية له في الوقت الحاضر.

التشيُّع متقدِّر داخلياً

لقد اكتشف خبراء الاستراتيجية، في الغرب، أثناء دراساتهم للصَّحْوة الإسلاميَّة، أنَّ هناك «islamations»، وليس إسلاماً واحداً، وعدوا التَّعدُّد المذهبِي (الفقهِي والكلامي) أحد العوامل المجزئَة لِلإسلام، المفتتة لوحنته، هذه الحقيقة تم اكتشافها كذلك بالنسبة للتَّشيُّع الذي أسفرت حركة تجزئته التَّاريِّخية عن ثلاثة انقسامات رئيسية هي: التَّشيُّع الإمامي، الزيدِي، الإسماعيلي. إذن ليس هناك تشيُّع واحد، بل مذاهب شيعية مختلفة، وهذا له أهميَّة جيوسياسيَّة، التي تظهر عند دراسة حجم تأثير الثورة الإبرانيَّة الشيعيَّة الإمامية الإثني عشرية في باقي التيارات الشيعيَّة الأخرى عبر العالم الإسلامي. فإلى جانب التيار الأهم، أي التَّشيُّع الإمامي، الموجود في إيران والعراق ولبنان ودول الجزيرة العربيَّة وأفغانستان وباكستان والهند، هناك الشِّيعة الرَّئيسيَّة في اليمن، وإسماعيلية موزعون في أكثر من دولة في الشرق الأوسط وأسيا وإفريقيا وأمريكا، وقد تفرَّعت عن الإسماعيلية مجموعة من التيارات الأخرى، مثل الدروز والعلويَّة بالإضافة إلى أن الإسماعيلية هي نفسها تقسم إلى تيارات: «نَزَارِيَّة (أو الخوجة) والبهرة». ويبلغ عدد الإسماعيلية، كما ذكر المؤلِّف، ١٦ مليوناً، أما العلويون، فالإحصائيات المتوفَّرة تؤكِّد أنَّهم يمثلون ١٣٪ من بين ٨٦٪ من المسلمين في سوريا و٤٪ السُّكَان في تركيا، أما الدروز فيمثلون

● الانبعاث الشيعي في العالم قراءة في كتاب «جيوپولitic الشیعی»

٣٪ في سوريا، أي ما يقارب (٣٦٠٠٠٠)، وفي لبنان يبلغ تعدادهم قرابة (٣١٠٠٠٠) ويوجد قرابة (١٠٠٠٠) في الأردن، وفي فلسطين المحتلة هناك قرابة (٦٠٠٠٠).

يرى المؤلف من خلال هذه الأرقام والإحصائيات، أن التشيع بوصفه مذهبًا إسلاميًّا، منقسم على نفسه، وقابل للانفجار والتجزء، فبالإضافة إلى التيارات الثلاثة الرئيسية هناك تيارات داخل التيار الرئيسي صاحب الأغلبية أي التشيع الإمامي، هما: الأصولية والإخبارية. وبشكل عام، فالعالم الشيعي عالم متفرج و«مثال إيران - كما يقول المؤلف - لا يمكن أن يسقطنا في الوهم»، لأن تأثيرها لن يتتجاوز التجمعات الشيعية الإمامية، زد على ذلك الحسابات والمصالح السياسية التي تجعل الإمامية أنفسهم ينقسمون على بعضهم، بل يدخلون في حرب مصالح كما حدث في لبنان مع الحركتين الشيعيتين: أمل وحزب الله. كذلك الأمر مع الطوائف الشيعية الإسماعيلية وما تفرع عنها؛ حيث يظهر، كما يرى المؤلف، أن أيًّا مفهوم للتوحد بين هذه الطوائف غير وارد، لكن مقاومتها للذوبان واستمرارها ككيانات اجتماعية - وإن تقاسمتها الدول والأحزاب - يفرضأخذ وجودها بعين الاعتبار، وإن كان ثقلها على المستوى الجيوسياسي المستقبلي ضئيل خصوصاً في الشرق الأوسط.

والخلاصة التي يتوصل إليها المؤلف هي أن التشيع يعدّ عاملاً يزداد، يوماً بعد يوم، أهميةً على المستوى الجيوسياسي، داخلياً وخارجياً، لكنه، في حد ذاته لا يعدّ ظاهرة وحدوية أو موحدة... .

الانبعاث الشيعي: الاجتماعي والسياسي والديني

من خلال العرض التاريخي الذي قدّمه المؤلف للوضع الاجتماعي والسياسي للطوائف الشيعية في العالم الإسلامي، يلاحظ - باستثناء إيران والعراق - أن الطوائف الشيعية جميعها كانت تعاني من تهميش اجتماعي وسياسي كبير، فهي في أغلبها ساكنة، قروية، تشتغل بالفلاحة والأعمال الزراعية (في لبنان الجنوبي)، أو منعزلة في مناطق جبلية نائية (العلويون في تركيا، وسوريا والدروز في لبنان، الزيدية في اليمن والإسماعيلية في أفغانستان، ووسط آسيا).

إلى جانب هذا التهميش، فهي مضطهدة سياسياً ودينياً، لأنها تعيش وسط بحر

من المذاهب السنّية التي «تكفُّر الشيعة ولا تعرف بإسلامهم ويمذاهيم الفقهية والكلامية» خصوصاً حيث تكون السيطرة المذهبية للحناشة السلفيين، وهؤلاء موقفهم من الشيعة، بعامة، أكثر تطرفاً. لكن هذا التهميش بدأ يتقلص باضطراد منذ بداية هذا القرن، فمع سقوط الدولة العثمانية المتغصبة للتسنّن وسيطرة الاستعمار الغربي، بدأ الخناق ينفك تدريجياً عن عدد من الطوائف الشيعية في كل من سوريا وتركيا ولبنان، وانطلقت هجراتهم إلى المدن بحثاً عن ظروف اقتصادية أفضل، فاندمجوا في محيط جديد أقل حساسية وعفناً، كما انخرطوا في الأحزاب اليسارية بقوة ودعموا الدولة الوطنية العلمانية (العلويون في تركيا وسوريا)، وكان لهذه الهجرات أن رفعت معدلات الزيادة السكانية لديهم، وبدأوا يشكلون تجمعات سكانية كبيرة على هامش المدن والعواصم الكبرى، (مثال شيعة لبنان الذين سكنتوا الضاحية). كما شارك عدد منهم في الأحزاب الاستقلالية، وناضلوا من أجل العدالة والمساواة، وبرز منهم قادة كبار على غرار السيد موسى الصدر في لبنان.

وأخيراً، جاءت الثورة الإيرانية لتنقل الشيعة الإمامية خصوصاً، والشيعة عموماً، إلى وضع جديد يحمل تناقضات ذات أبعاد مختلفة، فالاقليات الشيعية في الخليج، مثلاً، مثلت الثورة لهم تحديات جديدة سلبية في أغلبها، لأن وتبورة التهميش والاضطهاد أخذت بعدها جديداً مدروساً بعنایة، خوفاً من تأثير الثورة فيهم وانجدابهم إليها، بخلاف شيعة لبنان الذين أصبحوا، بعد نضالات طويلة، رقماً سياسياً مهماً في المعادلة المحلية والإقليمية، وفي باكستان كانت هناك مواقف أخرى، كذلك الأمر في كل من الهند واليمن وغيرها من المناطق؛ حيث يتواجد الشيعة.

أما «المفارقة العراقية»، كما سماها المؤلف، فلها خصوصياتها؛ وذلك لوجود أغلبية شيعية مهّمّة سياسياً وغير مشاركة في إدارة الحكم بما يناسب ثقلها الاجتماعي، وهذا الوضع استمرَّ منذ زمن الدولة العثمانية السنّية. وبعد انتصار الثورة في إيران، انفجر صراع سياسي مرير مع بعض التيارات السياسية الشيعية والحكومات العراقية الخائفة من تأثير الثورة الشيعية الإيرانية، خصوصاً مع وجود روابط (مذهبية/ علمية) راسخة، لأن المتربيّن على سدة المرجعية الفقهية في العراق أغلبهم من إيران.

● الآثار الشيعي في العالم قراءة في كتاب «جيوبولitic التشييع»

وعلى الرغم من أن الأغلبية الشيعية في العراق وقفت إلى جانب القومية العربية على حساب العقيدة المشتركة مع إيران، أثناء الحرب العراقية ضد إيران، إلا أن مخاوف السلطات العراقية، ومعها حكومات الخليج وخلفاؤهم الغربيون، من ثورة شيعية عراقية، ظلت قائمة، ولا تزال مستمرة، وهذه من أهم المعضلات التي تقف في وجه إيجاد حل الأزمة العراقية الحالية. أما إيران ونورتها فالحديث عنها كان محورياً طوال الكتاب وستحدث عنها بعد قليل.

والخلاصة، فالمعطيات الواقعية، كما يؤكد المؤلف، تقول: إن العالم الشيعي قد استيقظ من سباته بعد قرون من التهميش، والمواجهة أولاً: مع محيط سني عمل على خنقه والقضاء عليه، ثانياً: مع الاستعمار والمصالح الغربية في مناطقه، لكن التشيع، كما يؤكد المؤلف، لم يضعف أو يتلاشى، بل استمر، وهو الآن عامل جيوسياسي مهم في غير دولة في الشرق الأوسط. في تركيا بعد التشيع العلوي - بعدها خرج من تهميشه الاجتماعي السياسي - واحداً من مفاتيح المستقبل التركي، وفي سوريا - وبالرغم من أن العلوبيين لا يسعون إلى «علوّة» الأغلبية وإنما قيادتها بأيديولوجية بعثية - إلا أن مستقبل الشرق الأوسط مرهون كذلك - كما يرى المؤلف - بطبيعة العلاقة بين العلوبيين وبقية الشعب في سوريا. وفي اليمن، ومع أن التشيع الزيدية معزول وسط عالم سني بعيد مذهبياً وجغرافياً عن العالم الشيعي الإمامي الناهض، إلا أنه يشكل عاملاً ضرورياً لتطور هذه المنطقة المهمة استراتيجياً.

أما في الخليج، فقد أكد الفرنسي جان بيير شوفينمون (Jean pierre chevenement) في كتابه: «الأخضر والأسود»، الصادر سنة ١٩٩٥م، أن مركز الثقل في العالم العربي انتقل من المتوسط باتجاه الخليج منذ العقدتين الأخيرتين، لذلك يمكن أن يقال: إن منطقة الثقل قد انتقلت من المناطق ذات الأكثريية السنوية باتجاه مناطق سنوية شيعية، من هنا فالاضطرابات قد تنشأ من انفجار الصراع السني - الشيعي وتداعياته التي تتجاوز الوضع المحلي والإقليمي لتأخذ بعدها عالمياً!

أما التشيع في آسيا الوسطى (أفغانستان وطاجكستان خصوصاً)، فلا يمكن الحديث عنه، باعتباره ظاهرة جيوسياسية، لكن لا يمكن إغفاله أو التقليل من

الاهتمام به لأن هذه الأقلّيات وسط بحر من الأغلبية السنّية تثير الكثير من المشاكل وردود الفعل غير المعروفة؟!

تحديات يواجهها عالم التشيع

هناك مجموعة من التحديات تواجه المجتمعات الشيعية تحدّث عنها المؤلّف، ومنها:

١ - الحدود الدمويّة للتشيع

يلاحظ أن التشيع موجود في قلب عدد من مناطق التّنافسات المسلحة، في الخليج؛ حيث امتدت حرب الخليج الأولى ثمانى سنوات، وأعقبتها حرب ثانية، وكلّا الحرّبين وقعت على أراضٍ ذات أغلبية شيعية، وأودت بحياة الآلاف منهم، وفي جنوب لبنان؛ حيث الأغلبية شيعية هناك صراع دموي عنيف بين إسرائيل وحركة شيعية مقاومة هي حزب الله، في آذربيجان هناك مشكلة «قرىاغ» المتنازع عليها مع أرمينية وقد شرّدت الحرب التي نشبت بين البلدين، العديد من الأسر الشيعية، كذلك الأمر في أفغانستان فالشيعة طرف في الحرب الدينية والإثنية هناك، وتخوض إيران حرباً باردة مع الولايات المتحدة الأمريكية وعدد من دول الجوار، وتعرضت بسبب ذلك لحصار اقتصادي يؤثّر على تنميّتها الاقتصاديّة، ما جعلها تدخل في سباق تسلح للدفاع عن نفسها ومصالحها ومواجهة الأساطيل الغربية المحيطة بها.

٢ - الحرب الطائفية ضد الشيعة والتشيع

باستثناء المناطق التي يشكل فيها الشيعة الأغلبية، مثل إيران والعراق، تعيش باقي الأقلّيات الشيعية وسط محیط سُني معادٍ مذهبياً، يتحول، في بعض الدول، إلى صراع دموي وتصفيات جسدية وحرق للمساجد من طرف متطرّفين سلفيين، فقد قتل سنة ١٩٩٤ م ما لا يقل على ٧٠٠ شخص نتيجة لهذا الصراع الطائفي. وفي الهند تصبح المضايقات مزدوجة من طرف الهندوس والسلفيين معاً. وفي أفغانستان ينظر إليهم باعتبارهم أقلية مارقة عن الدين، ولا يتورّع أتباع الأغلبية عن سفك دمائهم. أما في الخليج فقد ازدادت موجات المضايقة للشيعة بعد انتصار الثورة الشيعية في إيران، وبدأ ينظر إليهم باعتبارهم طابوراً خامساً، لذلك أحبطوا

● الابعاث الشيعي في العالم قراءة في كتاب «جيوبولitic التشييع»

بالحدوث الشديد، وضيق عليهم من كل ناحية مخافة تسرُّب التأثير الإيراني إليهم. وهذا ما يجعل الصراع السنوي (السلفي) الشيعي يصبح بدوره عاملًا مهمًا في الجيوسياسية داخل الشرق الأوسط، خصوصاً عندما تعمقه وتقويه الاختلافات الإثنية والعرقية، والتي بإمكانها أن تفجره في أي وقت. بالإضافة إلى أن إيران لا يمكنها أن تظل مكتوفة الأيدي والشيعة الإمامية، خصوصاً، يُغضبون ويُقتلون في باكستان والهند، أو يهُمّشون في الخليج، ناهيك عن ردود فعل هذه الأقليات، من دون أن ننسى أن المذهب الشيعي استمد قوته عبر التاريخ من نضالاته ضد الظلم ودعوته للعدالة، وانتظاره للإمام الثاني عشر الذي سيحيط العدل في الأرض.

ومن خلال المثال الهندي والباكستاني، يرى المؤلف أن آية أقليَّة شيعية لا يمكنها أن تعيش بسلام داخل محيط غالبيَّة سنية (سلفية)، حتى لو كانوا بعيدين عن التأثير السياسي والديني الإيراني، وهذا ما سيولد ردود فعل عنيفة من طرف الشيعة، لذلك ينصح المؤلف القوى العلمي والشركات النفطية بالأخذ بعين الاعتبار ظاهرة الشيعية بكل صورها وأشكالها، ووضع الشيعة في هذه المناطق الحيوية. كذلك الأمر بالنسبة للسلطات المحلية، لأن سياسة القمع والزجر لا يمكن أن تدوم طويلاً بالنسبة لهذه الأقليات المتهمة أو المَحْسُوف منها، فلا بد من حساب ردود الفعل المحتملة.

إشكالية الإثنية ومعضلة الهوية

هذه إشكالية حساسة جداً أشار إليها المؤلف، وهي لا تخصل التشيع فقط، وإنما باقي المذاهب والديانات والإثنيات التي تجد نفسها أمام اختيارات صعبة، بين انتماها الديني والمذهبي، الذي يفرض عليها التزامات معينة قد تتعارض مع الاختيارات السياسية التي تمنحها شرعية المواطنة الكاملة أو المشاركة في العمل السياسي الوطني، وقد مر بنا كيف أن غالبية شيعة العراق انحازوا إلى جانب الدولة القومية في حربها ضد إخوانهم في العقيدة والمذهب الإيرانيين (الفرس أو العجم)، الإشكالية نفسها تُطرح بالنسبة لشيعة الخليج فأغلبيتهم من العرب، لذلك فهم يعانون، فهل تتجه أفتادتهم صوب إيران لأنهم شيعة، أو لا، أو أنهم عرب يعتقدون إسلاماً مختلفاً عن الأغلبية؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ستعيد ترتيب وضع العلاقات

المذهبية والسياسية لهذه الأقليات مع إيران، أولاً، ومع الدول التي يعدون أنفسهم مواطنين شرعين فيها ثانياً.

كذلك الأمر بالنسبة للشيعة، في آذربيجان وطاجكستان، فهواء أتراك، ويلاحظ أن تركيا العلمانية تسعى بجد - مباشرة بعد تفكك الاتحاد السوفيتي - إلى إعادة الاعتبار للروابط القومية، فهي تقدم العامل العرقي على الدين، وترى من حقها قيادة العالم التركي، في إطار علاقات متشابكة اقتصادياً وسياسياً، وهذا ما جعل المعضلة الأذرية بين تركيا وإيران وأذربيجان تطفو على السطح، لأن آذربيجان كانت في بداية هذا القرن جزءاً من الإمبراطورية الفارسية، وهناك دعوات ومطالب في إيران أفصحت عن توجهات وحدودية، وإن كان ذلك يثير الكثير من المخاوف والهواجس بالنسبة لإيران، لأن أي نزعة قومية تركية وطنية يمكنها أن تمتد جنوباً لتشمل القسم التركي من إيران، لكن تقسيم آذربيجان هو على الأرجح ظاهرة مستمرة - كما يرى المؤلف - فإذا كان الانتماء للتشيع يثير الكثير من الميول العاطفية، فإن السياسة الخارجية هي رؤية جيوسياسية لا يمكنها أن تستند على ميول عاطفية فقط، ناشئة عن ماضٍ تاريخي وديني وثقافي موحد. وبشكل عام، فإن هذه الأقليات ستظل تتارجح بين هذين العاملين الإثني والديني.

إيران والثورة والخصوصيات الجيوسياسية

إهتم المؤلف كثيراً بإيران، وخصصها بمزيد من التحليل والدراسة، والسبب واضح، لأنها المحور المؤثر والفاعل في المعادلة الشيعية الجيوسياسية، لذلك فقد تبع حركة نهضة العلماء، في إيران؛ منذ العهد الصفوی إلى أن تسلّموا السلطة، وكشف عن موقعهم المتميّز داخل البنية الاجتماعية والفكرية والسياسية الإيرانية، مع مقارنة وضعهم بباقي النخب العلمانية داخل الأقليات الشيعية الإمامية الأخرى. لكن أهم المقارنات هي تلك التي قام بها المؤلف طوال الكتاب، بين الثورة الإيرانية والاتحاد السوفيتي، ود الواقع ذلك واضحة، فهذه المقارنة مفيدة للاستراتيجيين الغربيين لمعرفة أوجه الاختلاف ونقاط الالتقاء بين العدو القديم للغرب والعدو الجديد الذي لم يتعرف عليه الغرب بعد بشكل كامل.

● الانبعاث الشيعي في العالم قراءة في كتاب «جيوبيوليتik التشيع»

من هذه المقارنات نذكر:

- ١ - من أهداف الثورة الإيرانية إعادة الاعتبار (إحياء) للتشيع داخل العالم الإسلامي في إطار خطة شاملة لأسلمة العالم ككل، وقد كان من أهداف الثورة الشيوعية تحويل العالم إلى كتلة شيوعية كذلك.
- ٢ - وجود نخبة علمائية تربى على كرسي المرجعية الشرعية والسياسية، على غرار نخبة شيوعية سوفياتية بيدتها مقاليد الحكم والإشراف الإيديولوجي.
- ٣ - كما كان بإمكان الحزب الشيوعي، الحاكم في الاتحاد السوفيتي، أن يربط علاقات مع أعداء الرأسمالية داخل الدول الغربية وغيرها وأن يُنشئ أحزاباً سياسية شيوعية وأن يدعمها، يمكن لإيران فعل ذلك، وأن تحرّك الأقليات الشيعية الإمامية لإحداث اضطرابات وحركات معارضة، (أنموذج حزب الوحدة الشيعي في أفغانستان الموالي لإيران، وحزب الله في لبنان)، وهذا عامل مهم في الجيوسياسية لأنّه يؤدي إلى تقوية الدولة الإيرانية، ومن ثم تقوية التشيع.
- ٤ - إن التشيع، باعتباره الملهم للمواقف الجيوسياسية الإيرانية، هو، كما يقول المؤلف، عامل أقل حسماً كما نتصور، لكن أكثر أهمية مما نعتقد.
- ٥ - إن إيران محاصرة جغرافياً من طرف دول سنية لا تعبأ كثيراً بتشييعها أو بموقعها الإقليمي، لذلك بإمكان إيران أن تستفيد من الأقليات الشيعية في هذه الدول لفك الحصار عنها، وهذا ما سيدفع باتجاه نشر التشيع وتقوية الروابط الدينية والسياسية مع هذه الأقليات.
- ٦ - هناك مشكلات مهمة يمكن أن تتحكم بالوضع الجيوسياسي للمنطقة كل، مثل المنافسة الإيرانية التركية حول الجمهوريات الإسلامية المستقلة عن الاتحاد السوفيaticي، والمعضلة الآذرية خصوصاً، والعلاقة مع العراق والحدود الملتهبة مع أفغانستان وال الحرب الباردة في الخليج.
- ٧ - دخول إيران في قلب الصراع السنّي (السلفي) - حيث يرى المؤلف ضرورة مراقبة السياسة الخارجية الإيرانية التي لا يمكنها أن تغفل عن هذا الموضوع أو تظل مكتوفة الأيدي والأقليات الشيعية تضطهد في غير منطقة.

● أ. محمد دكير

٨ - تحاول الدبلوماسية الإيرانية الاستفادة من التجمعات الشيعية في أفغانستان وجنوب لبنان وأذربيجان وباكستان، لكن تأثير الثورة لا يتجاوز الشيعة الإمامية إلى غيرها من الطوائف الشيعية الأخرى، مثل الإسماعيلية والعلويين والزيدية إلا في حدود ضئيلة.

٩ - السوفيات كانوا يعتمدون على أحزاب شيعية داخل الدول، لكن إيران لا تملك أحزاباً شيعية، والأقليات تختلف عن الأحزاب، لأنها في أغلبها غير منظمة وغير مرتبطة سياسياً بإيران، كل ما هنالك وجود رابطة دينية مقدسة، لكن هنا تكمن صعوبة جديدة في تحليل العلاقة الأيديولوجية أو تحديدها بين إيران وباقى الأقليات الإمامية، فالمؤسسات العلمية والعلمانية الشيعية يحتل فيها العلماء الإيرانيون الصدارة، وهذا الوضع يفترض فيه أن تكون الأقليات في خدمة هذه المؤسسات ما دامت هي في خدمة التشيع، وهنا يصعب الحديث عن حجم العلاقة وطبيعتها بين الدولة الإيرانية وهذه الأقليات، لوجود منظوريين مختلفين يحددان هذه العلاقة. والخلاصة فإن أوجه الاختلاف أو الانفاق بين الثورتين الشيعية والشيعية لا تلغى خصوصية كل منهما في المنطلقات والأهداف والوسائل الإجرائية، وعمق التأثير المحلي والإقليمي والعالمي، لكن مما لا شك فيه - كما يؤكّد المؤلف - هو أن أيّة أيديولوجية لا يمكنها أن تموت بسرعة أو بسهولة عندما تمتلك إمكانات دولة وسلطاتها.

وها هي إيران تسعى فعلاً لامتلاك أسلحة متطرفة؟!

وأخيراً، لا يمكن الإحاطة بكل المعطيات الواردة في هذا الكتاب، لكن المقاربة الجبوسياسية التي قدمها المؤلف أصبحت واضحة ويمكن تلخيصها في نقطتين أساستين هما:

١ - التشيع عقيدة (نبوية - انتظارية) تسعى إلى تغيير العالم عبر الدفاع عن المظلومين والمهمشين في انتظار الإمام المهدي الذي سيخلص العالم من شروره، وانبعاثها جاء استجابة ضرورية لمعطيات واقعية داخلية وخارجية.

٢ - إعادة النظر في عملية التعاطي مع إيران والأقليات الشيعية في الشرق

● الانبعاث الشيعي في العالم قراءة في كتاب «جيوبولitic التشيع»

الأوسط، لأن سياسة الحصار والاحتواء، أو قمع الأقليات واضطهادهم دينياً وسياسياً، لم تعد مجديّة، ونتائجها المستقبلية ستكون مليئة بالمفاجآت والمخاطر، على استقرار الأنظمة السياسية الحاكمة.

وأخيراً، فقد كان هدف الباحث محاولة فهم مكونات التشيع وتفكيره مركباته للكشف عن الميكانيزمات التي ساعدت على رجوعه أو انبعاثه على الساحة الإسلامية والدولية، وجعلت منه أفقاً ضرورياً لأي مقاربة جيوسياسية، و بعيداً عن أي تقييم نقدي ينتصر لما جاء في الكتاب أو يرفض بعض التحليلات أو الإستنتاجات التي ترتكز على عدد من المغالطات التاريخية، فإن آراء المؤلف تتطلّب مقاربة جيوسياسية بعيون غربية وقلم فرنسي.

